

# يعقوب الحزن الأخير

إلى أخي يعقوب الذي أكلته الحرب



الشاعر نجاح العرسان

وقضى سرابك أن كفك أنهرُ  
وأمرُ صمتك أن صوتك سكرُ  
لا تقترحني للصباحات المؤ  
جلة السطوع وعين شمسك تسهرُ  
لا تنتظر عند انفلات شفاهنا  
كي نلتقي في صرخة تتصحرُ  
ماذا سأشرح يا رحيل وأي مع  
نى غير أشرعة الضياع يفسرُ  
الموت حربين احتقرت إناءه  
والنهر يكفرُ ضفتين وتغفرُ  
حجر ودائرة تلاشت تكسر  
الأبعاد وهو بصفوها يتكدرُ  
كيف اتسعت لضيقه ماذا خلعت  
من اتساعك فارتدك الأصغرُ  
يا يوسف الأشياء يا حزني الأخير  
بأي ريح من قميصك أبصرُ

حربين يصلبني السراب على الرمال

وكل أدعية السراب تدمرُ

لا صوت غير مساجد منسية

ترتابُ في خمر الصلاة وتسكُرُ

لا شيء يلمع بين وجهك وانتظا

ري برزخ لا يبغيان وأبحرُ

لا شيء أيضاً يا صبايا الريح يو

ميء للمرفيء لا شرع يبشرُ

لا شيء في شجر التوسل والموا

سم غير ما يصفرُّ أو يتكسرُ

الموت أصبح نزهة كل الصغار

تنزهوا بين الثرى وتحروا

هل عدت أيضاً تختبي لتخيفني

وأقل عيني دمة لا تصبرُ

أين اختبأت وخلف أي غمامة

ومتى على شجر انتظاري تقطرُ

دمننا قطع من فراش عابث

في زرقه الذهب الشفيف مغرُ

كنا صغاراً لا نضيع سوية

ألان نلعب بالضياع ونكبرُ

نرعى أنوثة قرية ما آمنت

بالقمح يوماً والمناجل تكفرُ

الليل يروي عن سذاجة خوفها

والحوت والقمر الذي لا يحذرُ  
يعقوب أين بقية الأسماء كيف  
تركت طعم فراتها يتغيرُ  
وتركت صحك يعلقون بسمرتي  
فحديث وجهي أن طعمك أسمرُ  
كنا صغاراً لم يكن يعقوب ينـ  
سى أن يعود فلم يعد يتذكرُ  
نفضوا التراب وعلقوا أسف العيو  
ن على خطاي ولم أزل أتعفرُ  
يا برتقالي الرصاص لمن نموت  
وما تزال البرتقالة تعصرُ؟  
ركضت إليك بذورها فوقفت تر  
كضُ بين ما تأبى ومن لا يعذرُ  
ما زال يَلْتَغْنَا الوجود ويستريح  
فكيف ثَقَّف مقلتيه المنظرُ  
كيف استمال الغيم زرقنا إليه  
وكيف صدَّقه الربيع المقفرُ  
وحدي انفرطت على طفولة عينه  
من خيط مسبحة الذين تبعثروا  
وحدي تُثْرَثِرُني الخطى فوق الرصيف  
ولم تزل شفة الرصيف تثثرُ  
قمر الظهيرة ربما شمس المساء  
وأي حائرة الكلام تعبرُ

لفّ احمرار الشمس في أهدابه  
صلته عيني والغروب مبكراً  
نبت الظلام على ربيع نهاره  
واختار شرفته السواد الأخضر  
رمضان وجهك صام كل قصائدي  
لم يدر أن الحزن إثم يفطر  
الدمع عيدك كل عام أيها  
الحزن السعيد وأنت خدك منبر  
وأبوك قد نضجت عصاه على الطريق  
إلى سمائك والمسافة تقصر  
كيف انطفأت وأنت آخر عينه  
الله يبذر والحروب تبذر  
وتركت مرآة لوجهك في الجدار  
وعين أمك فوقها تتعثر  
عين إذا همست أكف الريح خلف  
الباب تتفض دمعين وتتنظر  
تبقى عشاءك كل يوم في الإثناء  
فقد تعود ودائماً تتأخر  
أفهل كبرت على حليب حنينها  
وبأي صدر يا رضيع تفكر  
هلا عطفت على مسيح عيونها  
للآن في خشب الدموع مسمر  
مواسم خرساء تشرح للهراء

وجوهنا فلأي زيف نُثْمِرُ  
نحن انتظار نهاية لا تنتهي  
وعلى ارتداد مسارها نَتَكَرَّرُ  
وشتاء وجهي يعزف الغيم الجريح  
وكلما غنيت ذكرك يَمْطُرُ  
هل من جديد في خريف بقائنا  
غير الشعور بأننا لا نَشْعُرُ  
هل من جديد يا عراق الدمع غيـ  
رُ يدِ تصفحها الغمام المدبرُ  
من أين هذا النخل جاء أكنت تد  
فن بالثرى أبناءنا أم تبذرُ

